عالم البرزخ وزمنه
من الموت وحتى نفخة البعث

هذا العنوان عالم البرزخ هو الهدف من الكتاب أو قل هو أهم جزء من الكتاب.

. . . لقد تعددت الآراء حول عالم البرزخ من كثير من العلماء والفقهاء والمفسرين القدامى والمحدثين، والسبب الرئيس لهذا التعدد هو كثرة الأحاديث الشريفة حول هذا العالم المجهول لدينا، وهذه الأحاديث الشريفة منها المسند الصحيح ومنها الحسن ومنها الضعيف حسب تصنيف علماء الحديث الشريف، لذا نجد بعض الاختلاف حول هذا العالم البرزخي المجهول من حيث تناوله من قبل الباحثين والكتّاب.

ونضيف على هذا الاختلاف العلم المحدود والبسيط عن هذا العالم البرزخي، فالمعاينة شيء والكلام شيء آخر وليس الخبر كالعيان، ومهما تحدثنا عن العالم البرزخي فإن معاينة أحدنا بعد موته لهذا العالم يجعله يدرك الكثير الكثير الذي لم يطّلع عليه.

. . . القرآن الكريم تناول الجنة وتحدث عنها باستفاضة، وعشرات الآيات الكريمة تحدثت عن الجنة، فوصفتها ووصفت ما فيها من النعيم المقيم، المتمثل في القصور والحدائق والغرف والأنهار والحور والغلمان والطعام والفاكهة، وكذلك أرضها وشجرها وطيرها إلى ما لا يعد من الأوصاف العظيمة للجنة التي وعد اللّه بها سبحانه

المؤمنين من عباده. . .وكذلك توسعت الأحاديث الشريفة في وصف الجنة وما للمؤمن فيها من كرامة وأجر ومقام عظيم أمين، ولكن يبقى كل هذا في باب الوصف ليقترب التشبيه من العقول والقلوب، ويعمل لها العاملون ويسعى إليها المؤمنون المتقون.

. . .ولكن ومع كل هذا الوصف لم تتم معاينة الجنة، وبقينا في محور الوصف والحديث عنها للتقريب والترغيب، وفي نهاية الأمر تبقى الجنة من (عالم الغيب) الذي أخفاه اللَّه سبحانه عنا، لوجوب الابتلاء والامتحان بعالم الغيب وقدرة اللَّه تعالى وَفق موجودات الكون والخلق. .وهكذا تبقى الجنة فوق مستوى إدراكنا وعقولنا وأفكارنا وتصوراتنا. يقول تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾.

[سورة السجدة، الآية: ١٧]

يقول تعالى في الحديث القدسي:

«أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر».

[رواه الشيخان والترمذي وابن ماجه والنسائي في الكبرىٰ]

. . . فلو أن جمال الجنة وما أعدَّ اللَّه سبحانه فيها ضمن تصوراتنا وعقولنا ومداركنا ومفهومنا عن الجمال، فأين ذهب علم اللَّه سبحانه وقدرته وكرمه فيما أعدَّ للمؤمنين؟ كما وعد في كتابه الكريم من أجر عظيم ـ أجر كبير ـ أجر كريم إذا كان الأجر والإعداد كإعداد الدنيا وما فيها من الجمال والمتعة؟

. . .إذاً فالجنة قرَّبها اللَّه سبحانه ورسوله إلينا بالوصف والتشبيه لنستعد لها، مع بقائها خارج حدود مداركنا وعقولنا (لأنها عالم غيبي)

. . .وكذلك فإن عالم البرزخ على كثرة الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تناولت هذا العالم البرزخي. .فإنه في النهاية عالم خارج عن حدود مداركنا وعقولنا وتصوراتنا. .وفي كلا الغيبين غيب الجنة وغيب عالم البرزخ رحمة عظمى من اللَّه سبحانه لبني البشر على هذه الأرض.

فأجسادنا المخلوقة على هيئتها وشاكلتها التي نراها أمام عيوننا غير جاهزة تماماً لاستقبال هذا الغيب، ولا يمكن لعقولنا وأجسادنا أن تتحمل غيباً واحداً أخفي عنا فيما لو أظهره اللَّه سبحانه لنا.

. . .فقدراتنا الفيزيولوجية المخلوقة لها قدرات مسبقة مقدّرة من اللَّه سبحانه وتعالى. .وفي كل نوع من الخلق وضع اللَّه سبحانه قدرة فيه مغايرة للقدرة الأخرى التي وضعها في مخلوق آخر.

مع تعدد الأنواع من ملائكة وإنس وجن ووحش وطير وما علمنا وما لم نعلم.

فالإنسان له قدرة على الرؤية لا يستطيع تجاوزها فهو لا يستطيع أن يرى الملائكة ولا الجن،فقدرته البصرية المخلوقة لا تتحمل. .فالمصباح الكهربائي إذا زاد من مِئة شَمَعَة إلى ألف شَمَعَة إلى ألفين، ونظر إليه الإنسان فربما يُفقده بصره، فما رأيك برؤية ملك واحد من ملائكة اللَّه سبحانه الذي قد يزيد في نوره على ملايين الكيلو واط من الكهرَباء أو النور؟

. . .لذلك فإن اللَّه سبحانه ينشئنا يوم القيامة نشأة أخرى غير

نشأة الدنيا، لنستطيع أن نرى الغيب الذي أخفاه اللَّه عنا لعدم قدرتنا على رؤيته، ولأن اللَّه سبحانه جعله من الامتحان والابتلاء للإنسان في نفس الوقت. يقول اللَّه تعالى: ﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾.

[سورة الواقعة، الآيتان: ٦١، ٦٢]

ويقول تعالى: ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

[سورة ق، الآية: ٢٢]

ولنعد إلى الآية الكريمة ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾.. إذاً هناك غطاء حاجز وضع بيننا وبين الغيب الذي يشمل عالم البرزخ ويوم القيامة والجنة والنار، وهذا هو صريح الآية القرآنية الكريمة التي تؤكد وجود مثل هذا الحاجز بيننا وبين الآخرة كلها، بداية من الموت وحتى الدخول إلى الجنة أو إلى النار والعياذ باللَّه، وعلى هذا كما ورد في الحديث الموقوف عن علي بن أبي طالب: «**الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا**». ذلك لأن عالم الحياة الحقيقي هو العالم الذي يبدأ من لحظة الموت والذي يتجه نحو الخلود الأبدي.. فقد شبهت الدنيا وما فيها كأنها حلم عابر أو ساعة من زمن أو ما يشبه العشية والضحى.. قياساً للخلد الأبدي الذي يبدأ مع الموت.

يقول تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴾.

[سورة النازعات، الآية: ٤٦]

ويقول تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ ﴾.

[سورة يونس، الآية ٤٥]

وكذلك فإن رسول اللَّه ﷺ شبه الدنيا زمنياً برجل استظل في ظل شجرة ثم ارتحل.

. . .عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

«ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».

[رواه أحمد والترمذي وابن ماجه]